محاورات نحوية
حول بعض الأساليب القرآنية

للدكتور

محمد أحمد على سحلول

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات

الاسلامية والعربية ـ للبنين

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ٠
أما بعد :

فان لغة القرآن الكريم تعد أفصح أساليب العربية على الاطلاق ٠ وعلماء اللغة يعتمدون عليها فى صحة ما يذهبون اليه من أقوال وآراء ٠ وليس هناك ما هو أقوى من الآيات الكريمة للتثبيت والتقرير ٠

ولولا القرآن الكريم لكان من المشكوك فيه كثيرا أن يتوفر العلماء على وضع علم النحو وعلوم البلاغة ، واستقصاء المفردات ، وتحرى مصادر الفصيح والدخيل ٠

ولهذا يعد القرآن الكريم : « أصدق مرجع ، وأصح مصدر يرجع النحاة اليه فى تقنين القوانين ، واستخراج الأصول ، لأن العربية لم تشهد كتابا أحيط بالعناية ، واكتنف بالرعاية منذ زمن مبكر ، فحوفظ على تراكيبه ، وأحصيت كلماته وحروفه ، وكيفية ترتيله بلهجاته ، مع اتقان متناه فى التلقين ، ودقة بالغة فى الأخذ والأداء » [1] ٠

★ القرآن والحركة النحوية :

ومن أجل القرآن ازدهرت الحركة النحوية فى البصرة ،

---

(١) مدرسة الكوفة للدكتور مهدى المخزومى : ٥١ ٠

وانتقلت الى الكوفة ، ثم الى بغداد ، ثم الى الأندلس ، ثم الى مصر والشام . ومن أجل القرآن تعددت المناظرات ، واحتدم النقاش العلمى ، وكثر الجدل ، وفاضت كتب النحو بمعين لا ينضب من هذه المناظرات أو المناقشات (٢) .

والمناظرات التى دارت بين العلماء فى مجال اللغة وبخاصة فى العصر العباسى تدل دلالة كبيرة على النشاط النحوى الذى بلغ فى هذا العصر مستوى رفيعا . ولم يقتصر على فن النحو وحده ، بل حكت لنا كتب الفقه وطبقات الفقهاء مناظرات كثيرة بين أصحاب مالك وأصحاب أبى حنيفة ، وبين الفقهاء والمحدثين (٣) .

والمناظرات تصير حيث يصير العلم ، وحيث يصير العلماء ، فقد كان لعلماء هذه الحقبة من الزمن حوار وجدل فى مسائل نحوية مختلفة ، ومناظرات تدل على عنايتهم بدقيق المسائل ، وعلى تمسك كل فريق منهم برأيه ، واقامة الحجة على مذهبه ، فحب الغلبة جبلى فى الانسان فى مظاهر الحياة المختلفة فكيف العلم الذى هو أنبل الغايات وأسمى المقاصد ؟ (٤) .

لكننا لو تتبعنا هذه المناظرات وملابساتها وأهدافها لوجدناها قد شيبت بالعصبية ، فكانت حربا ضروسا فى

---

(٢) القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية ، للدكتور عبد العال سالم : « المقدمة » .

(٣) ضحى الاسلام للأستاذ احمد امين ٢ : ٥٥ .

(٤) نشأة النحو للشيخ محمد الطنطاوى : ٥٠ .

المجالس ، كما أن أكثر هذه المجالس لم تكن عادلة ، فهوى السلطان وميله كانا مع أحد الخصمين مما جعله يستطيل على خصمه بدالته ولسانه وجاهه (٥) .

يقول الأستاذ أحمد أمين : « ويدلنا ما روى أن هذه المناظرات ازدهرت فى هذا العصر تبعا لازدهار الشغف العلمى ، وطمعا فى منائح الخلفاء والأمراء ونيل الحظوة عندهم ، ورغبة فى الوصول الى الحق . واذا كانت أكثر المسائل العلمية لم تقرر بعد ، ولم تتخذ شكلا ثابتا ، كان مجال المناظرات فسيحا من الناحية العلمية البحتة . واذا كان الخلفاء والأمراء يسهمون فى الحركة العلمية ، ويشتركون فى الرأى ، ويؤيدون بعضا ويفندون بعضا ، استعد العلماء للمناظرة ، وتسلحوا لها رغبة فى الشهرة والحظوة » (٦) .

وعلى الرغم من أن المحاورات والمناظرات التى كانت تدور فى جلسات الخلفاء والأمراء والعلماء لها أهدافها المتنوعة ، ودوافعها المختلفة ، الا أنها كانت تستهدف الى ذلك خدمة القرآن ولغته ، وما له من أثر بالغ فى خدمة اللغة والحفاظ عليها . فقد كانوا يعيشون فى رحابه ، وينهلون من شعاعه ، مما كان له الأثر الواضح فى آرائهم النحوية . « وليس فى ذلك أدنى عجب ، فأى كلام أحق من كلام الله وقد بلغ من الفصاحة ما بلغ أن ينال من العلماء تباين النظر

---

(٥) فى أصول النحو : ١٩٤ .

(٦) ضحى الاسلام : ٢ : ٥٤ .

حوله ، واختلاف الرأى فى وجوه آياته ودقائق ألفاظه »[٧] .

وانطلاقا من هذه المناظرات المتعددة ، والمحاورات المختلفة جاءت فكرة هذا البحث المتواضع الذى أقدمه بعنوان : « محاورات نحوية حول بعض الأساليب القرآنية » والذى تبين فيه من خلال بعض المحاورات التى كانت تدور بين أهل هذا الفن فى مجالسهم ، مدى اهتمامهم بالقرآن الكريم واعتمادهم عليه ، سواء أكان الاعتماد على المعنى ، أم على الاعراب . وكل هذا عاد على الدراسات النحوية بالازدهار والنمو ، والحياة والحركة .

★ ★ ★

★ نماذج من المحاورات :

الأول : قال الله تعالى :

« **ألست بربكم قالوا : بلى** » [٨] .

يروى أن أبا بكر بن الأنبارى حضر مع جماعة من العدول ليشهدوا على اقرار رجل ، فقال أحدهم للمشهود عليه : ألا نشهد عليك ؟ فقال : « نعم » فشهد عليه الجماعة ، وامتنع ابن الأنبارى ، وقال : ان الرجل منع أن يشهد عليه بقوله : « نعم » ، لأن تقدير جوابه : « لا تشهدوا على » ، لأن حكم « نعم» ، أن يرفع الاستفهام ، ولهذا قال ابن عباس فى قوله تعالى : « ألست بربكم قالوا بلى » ، لو أنهم قالوا :

---

(٧) أثر القرآن والقراءات فى النحو العربى للدكتور محمد سمير نجيب اللبدى : ١٥٧ .

(٨) الأعراف : ١٧٢ .

« نعم » لـكفروا ، لأن حكم « نعم » أن يرفع الاستفهام ، فلو قالوا : « نعم » لكان التقدير : نعم لست ربنـا ، وهذا كفر ، وانما دل على ايمانهم قولهم : « بلى » ، لأن معناها يدل على رفع النفى ، فـكأنهم قالوا : أنت ربنـا ، لأن « أنت » بمنزلة التاء فى « ألست » (٩) .

ومن هنا نرى أن القرآن الكريم له أثره فى الدلالة على المعنى ، فـان « بلى » لا تقـع الا اضرابا عن النفى لتبطـله وتصيره ايجـابا ، لأنهـا عبـارة عن « بل » التى للاضراب و « لا » التى للنفى نحو قوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن » (١٠) ، أو مقرونا باستفهام ، سـواء أكان الاستفهام حقيقيـا نحو : أليس محمد بقـائم ؟ فتقـول : « بلى » ، أم توبيخـا نحو قوله تعـالى : « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظـامه ، بلى قادرين على أن نسـوى بنانه » (١١) ، أم تقريريا نحو قوله تعـالى : « ألست بربكم ، قالوا : بلى » (١٢) . وقـد يجاب بـ « بلى » عن الاسـتفهام المجـرد عن النفى ، ففى صحيح البخـارى أنه عليه الصلاة والسـلام قال لأصحابه : « أترضون أن تـكونوا ربـع أهل

---

(٩) نزهة الألباء فى طبقـات الأدباء : ٢٧٠ ، القلادة الجوهرية شرح الحلاوة السكرية فى النحو للآثارى : ٤٣٥ بتحقيق د/ محمد السعيد عامر

(١٠) التغـابن : ٧ .

(١١) القيـامة : ٣ ، ٤ .

(١٢) الأعـراف : ١٧٢ .

الجنة ؟ قالوا : بلى » (١٣) . وفى صحيح مسلم : أن الرسول -ﷺ- قال لرجل أراد زيادة بعض أولاده بالاعطاء : « أيسرك أن يكونوا اليك فى البر سواء » ؟ قال : بلى » (١٤) .

أما « نعم » فلا تقع جوابا للنفى . يقول الزجاجى : (بلى : ايجاب للنفى ، وتقع جوابا للسؤال المحجوب ، كقولك : أما خرج زيد ؟ فيقال : بلى ، لكن « نعم » تقع جوابا للسؤال الموجود ، كقولك : أخرج زيد ؟ فيقال : نعم ، ولا تقع جوابا للنفى ، كما أن « بلى » لا تقع جوابا للواجب) (١٥) .

* * *

الثانى : قال الله تعالى :

« فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك » (١٦) .

يروى أن مروان بن سعيد المهلبى (١٧) سأل أبا الحسن الأخفش عن قوله تعالى : « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك » ، ما الفائدة من هذا الخبر ؟ فقال : أفاد العدد

---

(١٣) فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى . كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبى ﷺ : ٦٦٤٢ .

(١٤) صحيح مسلم ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد فى الهبة م ٦ : ١١ : ٦٥ .

(١٥) كتاب حروف المعانى للزجاجى : ٦ بتحقيق الدكتور على توفيق الحمد .

(١٦) النساء : ١٧٦ .

(١٧) احد أصحاب الخليل المتقدمين فى النحو . بغية الوعاة ٢ : ٢٨٤ .

المجـرد من الصـفة ، وأراد مـروان بسؤاله أن الألف فى « كانتا » تفيد التثنية فلأى معنى فسر ضمير المثنى بالاثنتين . ونحن نعلم أنه لا يجوز أن يقال : « فان كانتا ثلاثا » ، ولا أن يقال : « فان كانتا خمسا » ، وأراد الأخفش أن الخبـر أفاد العدد المجرد من الصفة ، أى قد كان يجوز أن يقال : « فان كانتـا صغيرتين فلهما كذا ، أو صالحتين فلهما كذا ، وان كانتـا كبيرتين فلهما كـذا » ، فلما قال : « فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان » ، أفاد الخبـر أن فرض الثلثين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط ، فقد حصل من الخبر فائدة لم تحصل من ضمير المثنى [١٨] .

★ ★ ★

الثالث : قال الله تعـالى :

« ولا تقـولن لشىء انى فاعـل ذلك غـدا ، الا أن يشاء الله » [١٩] .

روى أن الكسائى وجه سؤالا الى أحد العلماء عن الفرق بين القول : « أنا قاتل غلامك » بدون تنوين « قاتل » ، و « أنا قاتل غلامك » بتنوينها [٢٠] . فما كان من الرجل الا أن نفى وجود فرق بينهما ، فأوضح له الكسائى خطأ اجابته ، وذكر أن هناك فرقا بين التعبيرين . فاسم الفاعل اذا لم ينون دل على المضى ، وان كان منونا دل على الاستقبال . فعلى هذا

---

(١٨) نزهة الألبـاء : ١٣٥ .

(١٩) الكهف : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢٠) معجم الأدباء لياقوت ١٣ : ١٧٧ .

يكون معنى التعبير الأول : أنا قتلت غلامك ، ومعنى الثانى : أنا سأقتل غلامك • ودعم الكسائى رأيه هذا بذكر آية كريمة فيها فصل القول ومقطع الحديث ، وهى قوله تعالى : « ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا ، الا أن يشاء الله » • وهذا يدل على أن القرآن الكريم كان له أثره الكبير فى ارساء القواعد النحوية ، وفى بناء الشخصية النحوية •

★ ★ ★

الرابع : قال الله تعالى :

« **وما كانت أمك بغيا** » (٢١) •

يروى أن أبا عثمان المازنى سئل بحضرة المتوكل على الله تعالى عن قوله عز وجل : « وما كانت أمك بغيا » • فقيل له : كيف حذفت الهاء ، و « بغى » فعيل ، و « فعيل » اذا كان بمعنى « فاعل » لحقته الهاء نحو : فتى وفتية ؟ فقال : ان « بغى » ليست بـ « فعيل » ، وانما هى « فعول » بمعنى : « فاعلة » ، لأن الأصل فيها « بغوى » ، ومن أصول التصريف : اذا اجتمعت الواو والياء ، السابق منهما ساكن ، قلبت الواو ياء ، وأدغمت الياء فى الياء ، كما قالوا : شويت شيا ، وكويت الدابة كيا ، والأصل فيهما : « شويا » و « كويا » ، فعلى هذه القضية قيل : « بغى » ووجب حذف التاء منها ، لأنها بمعنى : « باغية » كما يحذف من صبور بمعنى صابرة (٢٢) •

---

(٢١) مريم : ٢٨ •

(٢٢) نزهة الألباء : ١٨٥ ، ١٨٦ •

ولو كان « بغى » على تقدير « فعيل » بمعنى فاعلة كما ذهب بعضهم للحقتها الهاء مثل : كريمة وظريفة ، وانما تحذف الهاء اذا كانت بمعنى « مفعولة » نحو : امرأة قتيل ، وكف خضيب [٢٣] . ولو كان « فعول » بمعنى « مفعول » لحقته التاء نحو : جمل ركوب ، وناقة ركوبة [٢٤] . وعلى هذا فان « بغى » فعول بمعنى « فاعل » ولا تلحقها الهاء فى وصف التأنيث نحو : امرأة شكور ، وبئر شطون ، اذا كانت بعيدة الرشاء [٢٥] .

★ ★ ★

الخامس : قال الله تعالى :

« **لأهب لك غلاما زكيا** » [٢٦] .

يروى أن محمد بن أبى محمد اليزيدى كان يقرىء المأمون مع أبيه ، فلما ثقل سمعه قال له المأمون : يا محمد ، فى قراءتى عليك مئونة على ، لأنى أحتاج الى أن أرفع صوتى بأكثر من طاقتى ، فمر أخاك ابراهيم وابنك أحمد - وهو أبو جعفر - بأن يحضر كل واحد منهما فى يوم لأقرأ عليه وتكون حاضرا ، فان شككت فى شىء سألتك عنه . قال : - ابراهيم - فقرأ على فى يوم نوبتى سورة مريم ، قال :

---

(٢٣) طبقات النحويين واللغويين : ٨٩ بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٢٤) أوضح المسالك ٤ : ٢٨٧ بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين .

(٢٥) طبقات النحويين واللغويين : ٨٩ .

(٢٦) مريم : ١٩ .

« انما أنا رسول ربك ليهب لك » ، فقال يحيى بن أكثم : لا أحب لك يا أمير المؤمنين أن تقرأ هذه القراءة ، فقال له المأمون : ولم ؟ قال : لأنها تخالف المصحف ، فالتفت الى المأمون فقال : ما تقول يا ابراهيم ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، هذه قراءة قد قرأ بها غير واحد من أصحاب النبى ﷺ ، أولهم أبوك عبد الله بن العباس ، قال : فالتفت الى أخى محمد فقال : ما أنتم فيه يا ابراهيم ؟ قال : قلت قرأ أمير المؤمنين : « انما أنا رسول ربك ليهب لك » فقال يحيى : لا أحب أن يقرأ بهذا الحرف . قال : فلم ؟ قال : لأنه مخالف لما فى المصحف . فقال أخى للمأمون : ما ليحيى ولهذا ! هذا حرف قد قرأ به جماعة من أصحاب النبى ﷺ ومن التابعين ، أو كل ما فى المصحف يقرأ به ؟ والله يا أمير المؤمنين لو لم يقرأ بهذا الا أن الله عز وجل أخبرنا أن الملك أتاها فقال : انما أنا رسول ربك ليهب الله لك ، ليس لأهب أنا لك ، لكان ينبغى أن يقرأ به . قال : فسكت يحيى وما تكلم (٢٧) .

وهذه القراءة التى اعترض عليها يحيى بن أكثم هى قراءة أبى عمرو وورش والحلوانى عن نافع كما ورد عن أبى زرعة ، قال : (والمعنى : ليهب الله لك ، ولم يكن جبريل الذى يهب ، بل الله يهب . فالله أرسله اليها ليهب لها غلاما زكيا . وقرأ باقى القراءة السبعة : « لأهب لك » جبريل يخبر عن نفسه ، فان قال قائل : الهبة من الله تعالى ، فلم أخبر جبريل عن نفسه ؟ قيل : ففى ذلك قولان :

---

(٢٧) طبقات النحويين واللغويين : ٧٦ ، ٧٧ .

أحدهما : « قال انما أنا رسول ربك » : يقول الله تعالى : « لأهب لك » • قال الزجاج : من قرأ : « لأهب لك » فهو على الحكاية ، وحمل الحكاية على المعنى على تأويل : « قال أرسلت اليك لأهب لك » فحذف من الكلام « أرسلت » لدلالة ما ظهر على ما حذف •

والقول الثانى : جبريل عليه السلام قال لمريم : « انما أنا رسول ربك أرسلنى لأهب لك » اذ كان النافخ فى جيبها بأمر الله فتكون الهبة فى المعنى من الله ، وهى فى اللفظ مسندة الى جبريل ، لأن الرسول والوكيل قد يسندان هذا النحو الى أنفسهم وان كان الفعل للموكل والمرسل ، للعلم بأنه فى المعنى للمرسل ، وأن الرسول مترجم عنه) (٢٨) •

★ ★ ★

السادس : قال الله تعالى :

« **وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون** » (٢٩) •

حمل المبرد من البصرة الى سر من رأى (٣٠) ، وكان سبب حمله أن المتوكل قرأ يوما وبحضرته الفتح بن خاقان (٣١) « وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون » • فقال له الفتح

---

(٢٨) حجة القراءات : ٤٤٠ ، ٤٤١ •

(٢٩) الأنعام : ١٠٩ •

(٣٠) مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقى دجلة • معجم البلدان ٣ : ١٤ •

(٣١) وزير المتوكل على الله ، الأديب الشاعر ، قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ •

ابن خاقان : « انها » بالكسر يا سيدى ، فتبايعا على عشرة آلاف درهم ، قال محمد بن يزيد : فوردت سر من رأى ، فأدخلت على الفتح بن خاقان ، فقال : يا بصرى ، كيف تفسر هذا الحرف : « وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون » ؟ بالفتح أو بالكسر ؟ فقلت : « انها » بالكسر ، وهو الجيد المختار ، وذلك أن أول الآية « وأقسموا بالله جهد أيمانكم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ، قل انما الآيات عند الله وما يشعركم » ٠ ثم قال تعالى : يا محمد : « انها اذا جاءت لا يؤمنون » باستيفاء جواب الكلام المتقدم ٠ وأمر المتوكل باحضارى بين يديه حينما علم بحضورى ، فحضرت ، فلما وقعت عين المتوكل على قال : يا بصرى ، كيف تقرأ هذه الآية : « وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون » بالكسر أو بالفتح ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثر الناس يقرءونها بالفتح ، فضحك وضرب رجله اليسرى وقال : دعنى من هذا ، أحضر المال ٠ قال المبرد : وأخرجت فلم أصل الى الموضع الذى كنت فيه نازلا ، حتى أتتنى رسل الفتح ، فأتيته فقال : يا بصرى ، أول ما ابتدأنا بالكذب ! فقلت : ما كذبت ، فقال : وكيف وقد قلت لأمير المؤمنين ان الصواب : « وما يشعركم أنها » بالفتح ، فقلت أيها الأمير ، لم أقل هكذا ، وانما قلت : أكثر الناس يقرءونها « أنها » وأكثرهم على الخطأ ، وانما تخلصت من اللائمة ، وهو أمير المؤمنين ! فقال لى : أحسنت [٣٢] ٠

---

(٣٢) انباه الرواة على أنباه النحاة ٣ : ٢٤٣ ، ٢٤٤ بتحقيق =

هذه المحاورة التى دارت بين المتوكل ووزيره ، والمبرد يتبين منهـا أن الوجهين ـ الفتـح والكسر ـ جائزان ، لكن استوقفتنى هذه العبـارة الواردة على لسان المبـرد نفسه « أكثر الناس يقرءونها ـ أنها ـ وأكثرهم على الخطـأ » ـ أقول : كيف يكون أكثرهم على الخطـأ ، وهى قراءة سبعية قـرأ بها نافع وعاصم فى رواية حفص وحمـزة والكسائى وأحسب ابن عامر [٣٣] . يقول أبو زرعة : (وقرأ الباقون : « أنها اذا جاءت » بالفتح . قال الخليل : ان معناها : لعلها اذا جاءت لا يؤمنون . قال : وهذا كقولهم : « ايت السوق أنك تشترى لنا شيئا » أى لعلك . أنشد أبو عبيدة :

أرينى جوادا مات هزلا لأننى
أرى ما ترين ، أو بخيلا مخلدا

يريد : لعلنى أرى ما ترين) [٣٤] .

★ ★ ★

السابع : قال الله تعالى :

« **أرسل معنـا أخانا نكتل** » [٣٥] .

= الأسـتاذ محمد ابى الفضل ، طبقـات النحويين واللغويين : ١٠٢ ، ١٠٣ بتحقيـق محمـد ابى الفضـل ، تـاريخ العـلماء النحـويين لأبى الفضـل المعـرى : ٥٥ بتحقيق الدكتور/ عبد الفتـاح محمد الحلو .

(٣٣) كتـاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد : ٢٦٥ بتحقيق الدكتور شـوقى ضيف .

(٣٤) حجـة القـراءات : ٣٦٦ .

(٣٥) يوسف : ٦٣ .

قال المـازنى : حضرت يوما مجلس المتـوكل ، وحضر يعقوب بن السكيت ، فقال المتوكل : تكلما فى مسألة نحوية . فقلت له : اسـأل ، فقـال : اسأل أنت ، فقلت له : ما وزن « نكتل » اللفظة الواردة فى الآية المذكورة فيها قصة اخوة يوسف ؟ قال : فتسرع ، وقال : وزنها : « نفعل » ، فقلت له : اتئـد وانظر ، قال : فأفكر ، ثم قال : وزنها « تفتعل » . قال : فقلت له : « نكتل » أربعة أحرف ، و « نفتعل » خمسة أحرف ، فكيف تقدر الرباعى بالخماسى ! قال : فبهت ، ولم يحر جوابا ، فقـال له المتـوكل : فما تقول أنت يا مازنى ؟ قال : قلت : وزنها فى الأصل « نفتعل » ، لأنها « نكتيل » ، فلما تحرك حرف العلة ، وهو اليـاء وانفتح ما قبلها قلبت ألفـا ، فصـارت « نـكتال » ، ولمـا دخل الجازم صـارت « نكتل » ، فقـال المتـوكل : هذا هو الحق ، وانخـزل ابن السكيت ووجم ، وظهر ذلك عليه ، وقمنا . فلما خرجنا قال ابن السكيت فى الطريق : بالغت اليوم فى أذاى ! فقلت له : لم أقصدك بشىء مما جرى ، وانما مسألة كانت قريبـة من خاطرى ، فذكرتها (٣٦) .

★ ★ ★

الثامن : قال الله تعالى :

« فأكله الذئب » (٣٧) .

---

(٣٦) انبـاه الرواة ١ : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، طبقـات النحويين واللغويين : ٢٠٣ ، الأشـباه والنظـائر ٣ : ١٠٦ .

(٣٧) يوسف : ١٧ .

يقال ان الكسائى دخل الكوفة ، فجاء الى مسجد السبيع - وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرىء فيه - فتقدم الكسائى مع أذان الفجر ، فجلس وهو ملتف بكساء من البركان [٣٨] الأسود ، فلما صلى حمزة قال : من تقدم فى الوقت يقرأ ؟ قيل له الكسائى أول من تقدم - يعنون صاحب الكساء - فرمقه القوم بأبصارهم ، وقالوا : ان كان حائكا فسيقرأ « سورة يوسف » ، وان كان ملاحا فسيقرأ « سورة طه » ، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ الى قصة الذئب ، قرأ : « فأكله الذيب » بغير همز ، فقال له حمزة الزيات : « الذئب » بالهمز ، فقال له الكسائى : وكذلك أهمز « الحوت » : « فالتقمه الحؤت » [٣٩] قال : لا . قال : فلم همزت « الذئب » ولم تهمز « الحوت » وهذا « فأكله الذئب » وهذا « فالتقمه الحوت » ؟ فرفع حمزة بصره الى خلاد الأحول - وكان أجمل غلمانه - فتقدم اليه فى جماعة من أهل المجلس فناظروه ، فلم يصنعوا شيئا . فقالوا : أفدنا - رحمك الله ! .

فقال لهم الكسائى : تفهموا عن الحائك ، تقول اذا نسبت الرجل الى الذئب : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : قد استذاب - بغير همز - لكنت انما نسبته الى الهزال ، تقول : قد استذاب الرجل اذا استذاب شحمه (بغير همز)، فاذا نسبته الى الحوت ، تقول : « قد استحات الرجل » أى

---

(٣٨) البركان والبركانى : الكساء الأسود .

(٣٩) الصافات : ١٤٢ .

كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ، ولا يجوز فيه الهمز ، فلهذه العلة همز الذئب ، ولم يهمز الحوت . وفيه معنى آخر : لا يسقط الهمز من مفرده ولا من جمعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب وابنه وأبوه
أنت عندى من أذؤب ضاريات

قيل : فسمى الكسائى من ذلك اليوم (٤٠) .

واختلف القراء فى همز الذئب وتركه . فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر وحمزة : بالهمز وقرأ الكسائى : بغير همز (٤١) . يقول أبو زرعة : (قرأ أبو عمرو والكسائى وورش عن نافع : «الذيب» بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهو الأصل ، لأنه مأخوذ من « تذاءبت الريح » اذا أتت من كل ناحية . فكأنه شبه من خفته وسرعة حركته بالريح) (٤٢) .

والهمزة الساكنة المفردة يجوز أن تقلب حرف مد من جنس حركة ما قبلها .

فتقول : الكاس فى الكأس ، والذيب فى الذئب

ويقول الشاعر : فمن أدراك أن أباك ذيب .

★ ★ ★

---

(٤٠) انباه الرواة ٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٤١) كتاب السبعة فى القراءات : ٣٤٦ .

(٤٢) حجة القراءات : ٣٥٧ .

التاسع : قال الله تعالى :

« الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٤٣) ٠

حـدث أبو حاتم سهل بن محمد السجستانى قال : كنت أنا والتوزى عند أبى الحسن الأخفش ، فقـال لى التوزى : ما صنعت فى كتاب « المذكر والمؤنث » ؟ قلت : قـد جمعت منه شيئا ٠ قال : فما تقول فى الفردوس ؟ قلت : مذكـر ٠ قال : فان الله تعالى يقول : « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » ٠ قلت : ذهب الى معنى الجنـة ، كما قال : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » (٤٤) فأنث المثـل ٠

وكما قال عمر بن أبى ربيعـة :

فكان مجنى دون من كنت أتقى
ثلاث شخوص كاعبـان ومعصر

فـأنث ثلاثـا والشـخص مذكر ، لأنـه ذهب الى معنى النساء ، وأبان ذلك بقوله :

« كاعبان ومعصر » ٠ وكما قال النواح الكلابى :

وان كلابا هـذه عشر أبطـن
وأنت برىء من قبـائلها العشر

فأنث « عشرا » والبطن مذكر ، لأنه ذهب الى القبيلة ٠ فقـال لى : يا غافـل ، النـاس يقولون : نسـألك الفردوس الأعلى ٠ فقلت : يانائم ، هذه حجتى ، لأن الأعلى من صفات

---

(٤٣) المؤمنـون : ١١ ٠

(٤٤) الأنعـام : ١٦٠ ٠

الذكران ، لأنه أفعل ، ولو كان مؤنثا لقال : العليا ، كما تقول : الأكبر والكبرى ، والأصغر والصغرى . فسكت خجلا (٤٥) .

ويتبين من هذه المحاورة ما للقرآن الكريم من أثر بين فيما كان يدور على ألسنة المتناظرين من الآيات الكريمة ، مستدلين بها على وجهات نظرهم وآرائهم ، وهل يوجد ماهو أقوى من الآيات أدلة للتثبيت والتقرير .

★ ★ ★

العاشر : قال الله تعالى :

« فيهما فاكهة ونخل ورمان » (٤٦) .

قال أبو حنيفة ليونس بن حبيب : يا أبا عبد الرحمن ، أعلمت أن الرمان ليس من الفاكهة ؟ قال : ولم ؟ قال : لقول الله عز وجل : « فيهما فاكهة ونخل ورمان » ، فقال يونس : فجبريل وميكائيل اذن ليسا من الملائكة لقوله تعالى: « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال » (٤٧) قال : فكيف ذاك ؟ قال : ان الله عز وجل اذا خص الشيء بالفضل أدخله فى الجملة ، ثم أبانه بالاستثناء ، وأفرد

---

(٤٥) أمالى الزجاجى : ١١٧ ، ١١٨ بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، تاريخ العلماء النحويين : ٨١ ، ٨٢ الأشباه والنظائر للسيوطى ٣ : ٩٣ .

(٤٦) الرحمن : ٦٨ .

(٤٧) البقرة : ٩٨ .

ذكـره [٤٨] .

وعطف الخاص على العـام من اختصاص الواو نحو قـوله تعـالى : « حافظوا على الصـلوات والصـلاة الوسطى » [٤٩] ، « واذ أخـذنا من النبيين ميثـاقهم ومنـك ومن نوح » [٥٠] ، « تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمـر » [٥١] . وتشاركها فى هـذا « حتى » نحو قولهم : « مات الناس حتى الأنبياء » ، و « قدم الحاج حتى المشاة » فانها عاطفة خاصا على عام [٥٢] .

ومن خلال هذه المحاورة السابقة نرى أن أثـر القرآن الكريم يتسع اتساعا يبين لنا مدى ما كان يأخذ هذا الكتاب العظيم من أوقات العلماء ومجالسهم ومحاضرهم .

★ ★ ★

الحادى عشر : قال الله تعالى :

« قالوا ان هذان لساحران » [٥٣] .

ذكر أن القاضى اسماعيل بن اسحاق البصرى كان مفتنا بما يأتى به من مقاييسه فى العربية ، وكان له مع ابن كيسان

---

(٤٨) تذكرة النحاة لأبى حيـان : ١٥٨ ، ١٥٩ بتحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمـن .

(٤٩) البقـرة : ٢٣٨ .

(٥٠) الأحـزاب : ٧ .

(٥١) القـدر : ٤ .

(٥٢) مغنى اللبيب : ٤٦٦ بتحقيـق د/ مازن المبارك وآخرين .

(٥٣) طـه : ٦٣ .

مجلس عقيب صلاة الجمعة فى جامع المنصور · فقال له يوما : يا أبا الحسن ، ما تقول فى قراءة الجمهور - الا أبا عمرو : « ان هذان لساحران » ما وجهها على ما جرت به عادتك من الاغراب فى الاعراب ؟ فأطرق ابن كيسان مليا ، ثم قال : نجعلها مبنية لا معربة ، وقد استقام الأمر · قال له اسماعيل القاضى : فما علة بنائها ؟ قال ابن كيسان : لأن الفرد منها « هذا » وهو مبنى ، والجمع « هؤلاء » ، وهو مبنى ، فيحتمل التثنية على الوجهين ·

فعجب القاضى من سرعة جوابه وحدة خاطره ، وبعيد غوصه ، وقال له : ما أحسنه يا أبا الحسن لو قال به أحد ! قال : ليقل به القاضى · وقد حسن ومشى (٥٤) ·

والقراءة السابقة الواردة بتخفيف « ان » أو تشديدها ، ورفع « هذان » قرأ بها القراءة السبعة عدا أبى عمرو فان قراءته « ان هذين » بتشديد النون ، ونصب « هذين » ·

وحجة أبى عمرو أن تثنية المنصوب والمجرور بالياء فى لغة فصحاء العرب ، وهو مستغن عن اقامة دليل على صحتها ، كما أن القارىء فى قول الله جل وعز : « قال رجلان من الذين يخافون » (٥٥) مستغن عن الاحتجاج على منازعه ان نازعه فى صحة قراءته · أما حجة الباقين فهى أنها مكتوبة هكذا فى مصحف عثمان رضى الله عنه · وقد وقف منها النحاة موقفا ينبىء عن حبهم لكتاب الله تعالى ،

---

(٥٤) انباه الرواة ٣ : ٥٨ ·

(٥٥) المائدة : ٢٣ ·

وحرصهم الشديد على المحافظة عليه ٠

فأما قراءة « ان » بتشديد النون ، ورفع « هذان » ، فقد حكى أبو عبيدة عن أبى الخطاب وهو رأس رؤساء الرواة : أنها لغة كنانة يجعلون ألف الاثنين فى الرفع والنصب والجر ٠ وعلى هذه اللغة ورد قول هوبر الحارثى [٥٦] :

تزود منا بين أذناه ضربة

دعته الى هابى التراب عقيم

وقال المبرد : أحسن ما قيل فى هذا أن يجعل « ان » بمعنى « نعم » ، المعنى : « نعم هذان لساحران » فيكون ابتداء وخبرا ٠ وعلى هذا ورد قول عبيد الله بن قيس الرقيات :

ويقلن : شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت انه

أى : نعم [٥٧] ٠ ومثل هذا فيما حكى أن رجلا سأل ابن الزبير شيئا فلم يعطه ، فقال : لعن الله ناقة حملتنى اليك ، فقال : ان وراكبها ، أى نعم ولعن الله راكبها ٠

و « ان » التى بمعنى « نعم » لا تعمل شيئا [٥٨] ٠ وبهذا المعنى قال الزجاج ٠ وقال قطرب : يجوز أن يكون المعنى : « أجل » فيكون المعنى والله أعلم : (« فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى » [٥٩] ، قالوا : « أجل » تصديقا من بعضهم

---

(٥٦) لسان العرب مادة : « هبا » ٠

(٥٧) حجة القراءات : ٤٥٤ ، ٤٥٥ ٠

(٥٨) شرح شذور الذهب : ٤٨ ، ٤٩ ٠

(٥٩) طه : ٦٢ ٠

البعض ، ثم قالوا : « هذان لساحران » [٦٠]) .

وقال الفراء : انهم زادوا فيها النون فى التثنية وتركوها على حالها فى الرفع والنصب والجر ، كما فعلوا فى «الذى» فقالوا « الذين » فى الرفع والنصب والجر [٦١] .

وأما قراءة « ان » بالتخفيف ، ورفع « هذان » وهى قراءة حفص عن عاصم . فقد جعل « ان » بمعنى « ما » ، واللام بمعنى « الا » والتقدير : « ما هذان الا ساحران » . وقيل : انها مخففة من الثقيلة ، وأن الأصل : انه هذان لهما ساحران ، فالهاء ضمير الشأن وما بعدها مبتدأ وخبر ، والجملة فى محل رفع خبر « ان » ، ثم حذف المبتدأ وهو كثير ، وحذف ضمير الشأن [٦٢] .

أما بعد : فهذه المحاورات التى دارت بين العلماء والتى انطلقت من القرآن الكريم ، ودارت حوله ، ترينا القيمة الحقيقية لكل مناظرة علمية دارت حول آيات الذكر الحكيم ، اذ بمثلها يتضح كلام الله وتنجلى للسامع أبعاده ومراميه . يضاف الى ذلك أن أسلوب المحاورة كان يعتمد على اتخاذ الآيات الكريمة أدلة على صحة ما يذهب اليه هؤلاء العلماء من آراء وأقوال .. لقد أنشد رجل من أهل المدينة أبا عمرو ابن العلاء قول ابن قيس الرقيات :

ان الحوادث بالمدينة قد أوجعننى وقرعن مروتيه

---

(٦٠) طه : ٦٣ .

(٦١) حجة القراءات : ٤٥٥ ، ٤٥٦ .

(٦٢) املاء ما من به الرحمن ٢ : ١٢٣ ، شرح شذور الذهب : ٤٩ .

فانتهره أبو عمرو ، فقال : ما لنا ولهذا الشعر الرخو ! ان هذه الهاء لم توجد فى شىء الا أرختيه . فقال له الرجل : قاتلك الله ! ما أجهلك بكلام العرب ! قال الله عز وجل فى كتابه : « ما أغنى عني ما ليه ، هلك عني سلطانيه » (٦٣) .

وقال : يا ليتنىلم أوت كتابيه ، ولم أدر ماحسابيه »(٦٤) . فانكسر أبو عمرو انكسارا شديدا . قال أبو هفان : وأنشد هذا الشعر عبد الملك بن مروان ، فقال : أحسنت يابن قيس، لولا أنك خنثت قافيته . فقال : يا أمير المؤمنين : ما عدوت قول الله - عز وجل - فى كتابه : « ما أغني ماليه ، هلك عنى سلطانيه » فقال له عبد الملك : أنت فى هذه أشعر منك فى شعرك (٦٥) .

وبهذا يتضح أثر القرآن العظيم في مناقشات العلماء ومحاوراتهم ومجالسهم ، وكانوا يحرصون على لغته ، ويتجلى هذا فيما كان يستشهد بآياته الكريمة على ما تدور المحاورة أو المناظرة حوله من عبارة أو بيت أو كلمة .

هذا ، وصلى الله وسلم وبارك على من أنزل عليه هذا القرآن الكريم باللسان العربى المبين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ...

★ ★ ★

---

(٦٣) الحاقة : ٢٨ ، ٢٩ .

(٦٤) الحاقة : ٢٥ ، ٢٦ .

(٦٥) الخصائص ٣ : ٢٩٦ .

المصـادر والمراجـع

- القرآن الكريم ٠
- الأشـباه والنظائر فى النحو ، للشيخ العلامة جـلال الدين السيوطى نشر الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان سنة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م ٠
- أمالى الزجاجى ، لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى، تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون، نشر دار الجيـل ، بيروت ـ لبنـان ، الطبعة الثـانية سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ٠
- امـلاء ما من بـه الرحمـن من وجـوه الاعـراب والقراءات فى جميع القرآن ، لأبى البقاء عبد الله بن عبد الله العكبرى ٠ تحقيـق الأستاذ : ابراهيم عطوة عوض ، مصطفى البـابى الحلبى ، الطبعـة الثـانية سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ٠
- انباه الرواه على أنباه النحاة للقفطى ، تحقيق الأستاذ محمـد أبى الفضـل ابراهيم ، دار الفـكر العربى ـ القاهرة سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ٠
- أوضح المسالك الى ألفيـة ابن مالك ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفـكر الطبعة السادسة سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ٠
- بغيـة الوعاة فى طبقـات اللغويين والنحاة ، للحافظ جـلال الدين السيوطى ، تحقيـق محمد أبى الفضـل ابراهيم ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ٠

- تاريخ العلماء النحويين ، للقاضى أبى المحاسن المفضل ابن محمد بن مسعر التنوخى المعرى ، نشر ادارة الثقافة والنشر بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - السعودية سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- تذكرة النحاة لأبى حيان ، تحقيق الدكتور عفيف عبد الرحمن - مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- حجة القراءات لأبى زرعة ، تحقيق الأستاذ سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- الخصائص صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الأستاذ محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، لابن هشام الأنصارى ، تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
- صحيح مسلم بشرح الامام النووى ، دار احياء التراث العربى - بيروت .
- ضحى الاسلام للأستاذ أحمد أمين ، الجزء الثانى ، الطبعة العاشرة ، نشر دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .
- طبقات النحويين واللغويين ، لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى الأندلسى ، تحقيق الأستاذ محمد أبى الفضل

ابراهيم ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للامام أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار الفكر .

- فى أصول النحو للأستاذ سعيد الأفغانى ، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .

- القرآن الكريم وأثره فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العالم سالم مكرم ، دار المعارف بمصر الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨ .

- القلادة الجوهرية شرح الحلاوة السكرية فى النحو ، لزين الدين شعبان بن محمد بن داود الآثارى ، تحقيق الدكتور محمد السعيد عبد الله عامر ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- كتاب حروف المعانى ، لأبى القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى ، تحقيق الدكتور : على توفيق الحمد ، مؤسسة الرسالة ، دار الأمل . الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- كتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد ، تحقيق الدكتور شوقى ضيف الطبعة الثانية ، دار المعارف بمصر .

- لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف .

- مدرسة الكوفة للدكتور مهدى المخزومى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر الطبعة الثانية

١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م ٠

- معجم الأدباء لياقوت ، مطبعة عيسى البابى الحلبى بمصر سنة ١٩٦٠ ٠
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ، تحقيق الدكتور : مازن المبارك وآخرين ، دار الفكر - بيروت ٠
- نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، لأبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن الأنبارى ، تحقيق الأستاذ : محمد أبى الفضل ابراهيم ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ٠
- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، للشيخ محمد الطنطاوى ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر سنة ١٩٧٣ ٠

★ ★ ★